لغز الشيء المجهول



محمود سالم

لغز الشيء المجهول

تأليف
محمود سالم



لغز الشيء المجهول

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٧٤ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

حكاية الدكتور «مختار»

انتهى العشاء في منزل أسرة «محب»، وجلس ضيفهم الدكتور «مختار» يتناول القهوة في الصالون. واجتمعت الأسرة كلها حوله ... فهو — بالإضافة إلى كونه قريبهم — رجل لطيف، له ذكريات كثيرة مُسلية يشتاق «محب» و«نوسة» لسماعها، وخاصة أن «محب» ينوي أن يدخل كلية الطب عندما يكبر. ويتخرج طبيبًا مثل الدكتور «مختار». قالت «نوسة»: والآن يا عمي الدكتور، هل تحكي لنا شيئًا من ذكرياتك أيام كنت تعمل طبيبًا في الريف؟

ابتسم الدكتور «مختار» وهو يرشف فنجان قهوته ثم قال: لقد كنتُ أعرف أنكِ ستطلبين هذا الطلب، لهذا سأَحكي لك قصة ليست من الذكريات ... فهي لم تُصبِح بعد في عداد الذكريات ... إنها قصة طازجة حدثت أمس ليلًا ... ولم أَجِد لها تعليلًا حتى الآن.

قال «محب»: إنها قصة غامِضة إذن؟

الدكتور: نعم غامضه جدًّا ... وأرجو أن تُجرِّب ذكاءك في حلِّها، ما دُمتَ من هواة حل الألغاز.

زاد اهتمام «محب» و«نوسة» عندما سمعا حديث الدكتور، وابتسم والداهما لأنهما يعرفان اهتمامهما وبقية الأصدقاء «تختخ» و«عاطف» و«لوزة» بالألغاز والمغامرات.

قال الدكتور «مختار»: لقد مرت بي حوادث كثيرة غريبة وغامضة، ولكن ما حدث أمس كان أكثرها غموضًا وغرابة، وإثارة أيضًا.

وسكت الدكتور لحظات ثم مضى يقول: إنَّ أولادي وزوجتي قد سافروا للمصيف منذ أول الشهر، وأزورُهم في عطلة نهاية الأسبوع؛ فأنا الآن وحيد في البيت، أقضي النهار في عيادتي وهي كما تعلمون في الشقَّة المقابلة لمسكني. أما في الليل فإما أن أسهرَ عند بعض الأصدقاء ... أو أحضر إليكم ... أو أقرأ في الكتب والدوريات الطبية التي تصلني من مختلف المكتبات. وقد كنت متعبًا أمس. فقد عملتُ طول النهار وجزءًا من الليل في استقبال

المرضى وعلاجهم، وفي الحادية عشرة تقريبًا انتهى العمل، ودخلتُ مَسكني للراحة، وبعد أن تناولت عشاءً خفيفًا، جلست أقرأ في الفراش قليلًا، ولكني لم أستمرَّ؛ فقد استسلمت للنوم ...

وسكت الدكتور لحظات ثم عاد للحديث: ولا أدري كم مضى من الوقت وأنا نائم، ثم خُيِّل إليَّ أنني أسمع جرسًا يدقُّ، وأنا آخذ التليفون دائمًا معي إلى غرفة النوم؛ فقد يتصل بي مريض في حالة خطرة فأردُّ عليه فورًا، أو أذهب إليه إذا كانت الحالة تحتاج ... سمعتُ الجرس وكأنني في حلم وبحكم العادة مددت يدي إلى التليفون ووضعت السماعة على أذني ولكنِّي لم أسمع شيئًا ... لم يكن هناك صوت على الإطلاق ... ولكن الجرس استمر يدقُّ ... وتبينتُ أنه جرس الباب.

عاد الدكتور إلى الصمت ... وكانت القصة قد بدأت تشدُّ انتباه الأربعة المستمعين، فركزوا أبصارهم على الدكتور الذي شرب رشفة أخرى من القهوة ثم مضى يقول: عرفت أنه جرس الباب، فأدركتُ أن ثمة مريضًا قد جاء في حالة تستدعي إسعافه السريع ... وهكذا قمتُ مسرعًا إلى الباب وفتحته ... وكما توقَّعتُ وجدت شخصين يقفان بالباب ... أحدهما شاب ضخم مفتول العضلات يحمل رجلًا عجوزًا بدا عليه الهزال والمرض، فطلبتُ منهما الدخول فورًا.

ابتسم الدكتور «مختار» ثم استكمل حديثه قائلًا: كان المريض العجوز في حالة تعب واضح ... فطلبت من الشاب أن يُمدِّده على الكنبة التي في الصالة ... ثم أخذت أبحث عن حقيبة الكشف التي أحملها معي إلى المنزل، ولكنِّي لم أجدها ... ويبدو أنني نسيتها في العيادة ولم يُذكِّرني الممرض «حسني» بها ... لقد كان الرجل مُتعبًا فكشفتُ عليه بسرعة حتى أحضر الحقيبة ولكن الكشف عليه لم يُبيِّن شيئًا غير عادي ... وقررتُ أن أُعطيَه حقنة مسكِّنة؛ فقد كان يَصيح من الألم أنه سيموت ... وكثيرًا ما يكون الخوف والاضطراب أخطر على المريض من المرض ذاته ... وأخذتُ أُطمئنُه وأتحدَّث مع الشاب الذي قال لي إن الرجل العجوز والده ... وإنه يُعاني من الروماتزم والتهاب الأعصاب منذ زمن بعيد ... وهي أمراض تَصحَب الشيخوخة عادة.

سكت الدكتور «مختار» لحظةً ثم عاد إلى الحديث: قررتُ أن أعاود الكشف عليه بدقة فاستأذنت منهما لحظات وذهبت إلى غرفة النوم حيث أحضرت مفاتيح العيادة وأسرعت إليها لإحضار الحقيبة وحقنة من دولاب الأدوية ... وكان لا بدَّ من غلْي المِحقن فأشعلت الغلاية، ووضعت المحقن ووقفت بجواره.

وعاد الدكتور «مختار» إلى الصمت فقالت «نوسة»: إنَّ الحكاية حتى الآن ليس فيها شيء مشوق يا عمي الدكتور.

نظرت والدة «نوسة» إليها مؤنِّبة وقالت: ألا يُمكنك الانتظار قليلًا يا «نوسة»؟!

قال الدكتور «مختار»: معها حق ... فالحكاية حتى الآن عادية جدًّا ... وتحدث لي مرة أو مرتين أسبوعيًّا.

محب: إذن ما هو وجه الغموض في الحكاية يا دكتور؟

الدكتور: ستعلم حالًا ... فعندما انتهيت من غلْي المحقن وحملته معي وعدت إلى الشقة لم أجد الرجلين!

وسكت الدكتور «مختار» وتبادَل الجميع النظرات وأخذت تدور في رءوسهم جميعًا أفكار مُتضاربة ... كلٌّ منهم يُحاول أن يفسر سرَّ اختفاء الرجلين.

قال والد «محب»: لم تجدهما في الصالة فقط ... أم في الشقة كلها؟

رد الدكتور مبتسمًا: لم أجدْهما في الشقة كلها ... فقدت تصوَّرت أن يكون الرجل العجوز قد دخل دورة المياه مثلًا، وساعده ابنه ولكني وجدت دورة المياه خالية ... وكذلك بقية غرف الشقة ... لقد اختفى الرجلان تمامًا.

قال والد «محب»: لعلهما نزلا لسبب أو آخر ثم عادا بعد ذلك.

الدكتور: هذا ما فكرت به فعلًا ... وظللت في انتظارهما ساعة كاملة دون أن يعودا. بل إني بقيت يقظًا في الفراش فترة طويلة أفكِّر في أنهما قد يعودان ... ولكنهما لم يعودا مُطلقًا.

محب: لعلَّهما لصَّان وقد احتالا للدخول إلى الشقة بهذه الطريقة هذا هو التفسير الوحيد.

الدكتور: معَك حق، وهذا الخاطر قد خطر لي أيضًا، ولكنِّي بعد بحث دقيق لم أجد شيئًا ناقصًا مُطلقًا ... لا شيء سُرق من الشقة على الإطلاق ... وخاصة أن زوجتي أغلقت أبواب كل شيء تقريبًا قبل سفرها، ولم تَترُك لي إلا غرفة النوم مفتوحة.

عاد الجميع إلى الصمت ... وكلٌّ منهم يَعتصِر رأسه لعله يعثر على تعليل أو تفسير لهذه الحكاية الغريبة دون أن يصل واحد منهم إلى فكرة مقنعة.

نظر الدكتور «مختار» إلى ساعته ثم قال: والآن أترككُم تُفكِّرون في حل اللغز، وأعود إلى المنزل.

قال «محب»: ألم تصل أنت إلى فكرة ما؟

قال الدكتور، وهو يضحك: شيء واحد … ربما لم يُعجبهما الكشف الذي وقَّعتُه على العجوز المريض فذهبا إلى طبيب آخر …

ضحك الجميع لهذه النكتة، واتجه الدكتور إلى باب الخروج وقام الجميع لتوصيله، فعاد «محب» يسأل: هل نستطيع أنا وأصدقائي أن نزور الشقة غدًا ونقوم بتفتيشها لعلنا نعثر على شيء ينير الغموض الذي يُحيط بهذه القصة العجيبة؟

قال الدكتور وهو يسلم عليهم مودعًا: مُمكن طبعًا، فليس أحب إلى نفسي من أن تتمكَّنوا من حل هذا اللغز الغامض … فأنا شخصيًّا شديد الاهتمام بحله.

نوسة: وهل أبلغت الشرطة يا عمي؟

رد الدكتور: ولماذا أبلغ الشرطة إنَّ شيئًا لم يُفقَد من منزلي … وما حدث ليس فيه ما يستحق تدخل الشرطة. خاصة الشاويش «علي» الذي لو سمع ما قلتُه لظنَّني أضحك عليه.

انصرف الدكتور «مختار» وجلسَت الأسرة تتحدث عن حكايته، دون أن يصلوا إلى حلٍّ معقول لما حدث.

كان «محب» و«نوسة» قد اتَّفَقا على إبلاغ بقية المُغامِرين بالحكاية؛ فهي فرصة ذهبية لتجربة ذكائهم وموهبتِهم في حلِّ الألغاز الغامضة، ولكنَّهما قرَّرا إرجاء الحديث مع الأصدقاء حتى الصباح ليَذهبوا جميعًا بعد ذلك إلى شقة الدكتور «مختار»؛ لعلَّهم يَعثُرون على أثر يُرشدهم إلى تفسير الحادث العجيب.

الشاويش يتدخَّل

في صباح اليوم التالي أسرع «محب» و«نوسة» إلى منزل «عاطف» و«لوزة» حيث اعتاد المغامرون الخمسة أن يجتمعوا في الحديقة الواسعة، وكان البستاني قد زرَع في الحديقة بعض أشجار الطماطم ... وكان الأصدقاء يتسابقون في اكتشاف الثمرات الناضجة، وكانت والدة «عاطف» قد سمحت لهم بأكل ثمرات الطماطم الناضِجة. فكان من يَعثُر على واحدة منها يُسرع بغسلها بالماء البارد وأكلها، وكان مِن رأْي «محب» أن هذه أشهى طماطم أكلها في حياته.

أسرع الشقيقان إلى الحديقة مُبكِّرين ... وانصرفا إلى البحث عن ثمرات الطماطم الطازجة ... ولكنَّهما لم يَجِدا ولا واحدة ... ثم فُوجئا في نهاية الحديقة بـ «تختخ» يجلس وقد وضع أمامه كمية رائعة من الثمار المغسولة ... لقد سبقهم هو و«زنجر» واستولى على الثمرات الناضجة كلها!

صاح «محب»: أعطني واحدة.

قال «تختخ»: بعظَمة آسِف جدًّا، إنَّني لا أعطي الكُسالى من أمثالك شيئًا.

عاد «محب» إلى الترجي: أعطني واحدة ... وسوف أعطيك واحدة بدلها غدًا. أو بعد غد.

لوى «تختخ» فمه قائلًا: لقد أوضحتُ لك موقفي، ولا أحب التراجع.

وكانت «نوسة» تقف تتفرج على المشهد الظريف أمامها وهي تَبتسِم، وقد انضم إليها «عاطف» و«لوزة»، فقال «محب»: طيب، إذا لم تُعطِني واحدة فلن أقول لك أغربَ لغزٍ سمعتُه.

لم يهتمَّ «تختخ» وظنَّ أن «محب» يضحك عليه، فقال: لقد شبعتُ من الألغاز، وأريد الآن أن أشبع من الطماطم ...

وانصرف إلى الأكل وهو يتظاهر بمزيد من الاستمتاع ليغيظ «محب» أكثر.

فقال «محب»: صدِّقني إن عندنا لغزًا يتحدَّى ذكاءنا جميعًا، ولن يستطيع أحد حله.

لم يهتمَّ «تختخ» ومضى يأكل، فقال «محب» متنهدًا: إذن استمرَّ في أكل الطماطم لتزداد سمنة، وسأجعلك تبكي بالدمعة على اللغز الذي طار منك.

ضحك الأصدقاء على النكتة؛ فالدمعة تُصنع من عصير الطماطم، وطلب «محب» من «عاطف» و«لوزة» التي اهتمَّت جدًّا بأخبار اللغز أن ينضمَّا إليه هو و«نوسة» ليرويَ لهما اللغز.

جلس الأربعة بعيدًا عن «تختخ» الذي استمرَّ في أكله، وفي الوقت نفسه أخذ «محب» يروي للصديقَين حكاية الدكتور «مختار» والمريضين الغريبَين اللذين دخلا عيادته ثم غادراها خلسة دون أن يَنتظِرا علاج المريض.

أحسَّ «تختخ» بالقلق لأنه لاحظ أن «محب» يتحدَّث جديًّا، وأن «عاطف» و«لوزة» يستمعان إليه باهتمام تامٍّ. وبعد نحو عشر دقائق اتجه الأربعة إلى «تختخ» وقال «محب»: سنتركك تُكمِل طعامك وسنَذهب نحن لمحاولة حل اللغز.

لم يهتمَّ «تختخ» وظنَّ أن المسألة كلها مجرد هزار، وتركهم يَمضون، وهو يتوقع أن يعودوا بعد أن يصلوا إلى باب الحديقة، ولكنَّهم تجاوزوا الباب ومشوا، ولاحظ أن «لوزة» تشير إليه من طرف خفيٍّ أن يَتبعهم.

ترك «تختخ» الثمرة الباقية ثم غادر مكانه بهدوء، وأخذ يتبع هو و«زنجر» الأصدقاء من بعيد، وكانوا يتَّجهون إلى شقة الدكتور «مختار» الذي كان ما زال هناك يَتناول إفطاره استعدادًا لفتح العيادة؛ فقد كان في إجازة من قصر العيني حيث يعمل أستاذًا للأمراض الباطنية هناك.

استقبل الدكتور «مختار» الأصدقاء الأربعة جميعًا ثم غادر الشقة إلى العيادة، وفي ذلك الوقت كانت «تختخ» يقف أمام المنزل، وقد بدأت الشكوك تُساوره.

صعد «تختخ» العمارة، وكان يعرف أن الدكتور «مختار» قريب لـ «محب»، واستنتج أن «محب» عنده، وهكذا دخل العيادة ليبحث عن الأصدقاء ولكنه لم يَجدهم ... وكان الدكتور «مختار» في مكتبه فلم يرَ «تختخ» الذي وقف حائرًا ... ثم قرَّر العودة إلى الشارع ... ولكن «زنجر» تركه وأخذ يَضرب باب الشقة المقابلة للعيادة بأظافرِه ... وكان على الشقة اسم الدكتور «مختار» فأدرك «تختخ» أن الأصدقاء في الداخل، فأسرع يضغط الجرس وسرعان ما فتحت «لوزة».

كان الأصدقاء في الصالة حائرين. فلم يَعثُروا على أثرٍ لأيِّ شيء، فلما رآهم «تختخ» صاح: ماذا تفعلون هنا؟

محب: نبحث عن حل اللغز!

تختخ: أي لغز؟

محب: اللغز الذي رفضتَ الاستماع إليه مقابل ثمرة طماطم.

تختخ: هل تمزح؟

محب: أبدًا، هذه هي الحقيقة.

قالت «لوزة»: فعلًا يا «تختخ» هناك لغز عجيب.

تختخ: قل لي حالًا ما هو هذا اللغز العجيب؟

وجلس الأربعة، ثم أخذ «محب» يروي اللغز مرة ثانية و«تختخ» يستمع بانتباه شديد.

انتهى «محب» من روايته، وأخذ «تختخ» ينظر حوله، كانت الشقة مكوَّنة من صالة واسعة، وخمس غرف كانت أبوابها جميعًا مُغلَقة، وطلب «تختخ» من الأصدقاء ترك الكنبة التي كانوا يجلسون عليها، حيث أجرى الدكتور الكشف على المريض الذي هرب … وأخذ «تختخ» يُدقِّق النظر في الكنبة كما رفع مساندَها لعله يعثر على شيء، ولكن لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

قام «تختخ» ومعه الأصدقاء بمُحاولة فتح أبواب الغرف ولكنَّها جميعًا كانت موصدة بالمفتاح ما عدا غرفة النوم … وغرفة أخرى مُنفرِدة. وتردَّد «تختخ» قليلًا ثم فتح بابها ودخل.

كانت غرفة صغيرة، مؤثَّثة بمقاعد مريحة، وبها بعض أجهزة التسجيل والراديو.

فقال «محب» معلِّقًا: نسيتُ أن أخبركم أن الدكتور «مختار» من هواة الاستماع إلى الموسيقى، بل هو حُجة في معرفة الموسيقى والأغاني خاصة القديمة منها، وعنده مجموعة كبيرة من الأشرطة والأسطوانات لأشهر السيمفونيات العالمية، والأدوار القديمة لأم كلثوم، وعبد الوهاب، وعبده الحامولي ومنيرة المهدية، وسيد درويش وغيرهم. وقف «تختخ» يتأمل الغرفة الصغيرة، كان كل شيء فيها مرتبًا بطريقة لطيفة. وقد توزَّعت الميكريفونات الصغيرة في أماكن متفرِّقة، وأجهزة التسجيل والاستماع كلها موضوعة في قطعة موبيليا فخمة ضخمة تُشكِّل أحد جوانب الغرفة بكاملها.

خرج الأصدقاء وأغلق «تختخ» باب الغرفة، وأعادُوا البحث مرةً أخرى في مختلف أنحاء المنزل دون أن يَعثُروا على أثر واحد.

قال «عاطف»: لا أثر، ولا أدلة، ولا شيء على الإطلاق، وربما كان المريض يريد التهرُّب من دفع قيمة الكشف، فغادر الشقة قبل أن يعود الطبيب.

تختخ: لقد فكرت في هذا أيضًا، ولكن الدكتور لم يُوقِّع الكشف الكامل، وليس المهم للمريض هو الكشف ولكن العلاج؛ فهو إذن لم يَستفِد شيئًا حتى يهرب.

لوزة: هل تبقى هذه الحكاية لغزًا إلى الأبد؟

تختخ: من يدري؟ فقد تحدُث تطوُّرات جديدة تُلقي ضوءًا على هذا الغموض، ولكن حتى الآن فإن لغز المريض الهارب ليس له حلٌّ على الإطلاق.

غادر الأصدقاء الشقة، وذهبوا لمقابلة الدكتور قبل انصرافهم، وكان الدكتور في غرفة العيادة للكشف على أحد المرضى. وكان المُمرِّض «حسني» يجلس في صالة العيادة ومعه بعض المرضى الذين ينتظرون دورهم فقال لهم: لا داعيَ لأن تَنتظرُوا الدكتور واتركوا مفتاح الشقة معي وسأسلمه للدكتور.

وأخذ حُسني المفتاح ثم غادر الأصدقاء العيادة وهم يتحدَّثون عن الحادث. كانت الشمس قد ارتفعت في السماء، واشتدَّت درجة الحرارة، فقالت «نوسة» مقترحة: إننا لم نذهب إلى الكازينو منذ فترة طويلة، فما رأيكم لو ذهبْنا لتناول بعض الجيلاتي.

محب: أعتقد أن «تختخ» لن يتحمَّس لاقتراحك، فلم يَعُد في بطنه مكان للجيلاتي … فهي مملوءة الآن بالطماطم.

ابتسم «تختخ» وهو يتحسَّس بطنه قائلًا: إنني مُتحمِّس للاقتراح … وفي بطني متَّسع لكل شيء.

وانطلقُوا في طريقهم إلى الكازينو، حيث جلسوا تحت شجرة وطلب كلٌّ منهم نوع الجيلاتي الذي يُفضِّله، ثم انطلقُوا يتحدَّثون عن حكاية الدكتور «مختار» وهم يُقلِّبونها على وجوهها المختلفة لعلَّهم يصلون إلى بصيص من النور يهديهم … وبينما هم في جلستهم إذا بالشاويش فرقع يظهر فجأة.

ابتسم الأصدقاء جميعًا للشاويش؛ فهُم منذ فترة طويلة لم يتعامَلُوا معه. فلما شاهد الشاويش ابتسامتهم حيَّاهم فدعَوه لكوب من الشاي الذي يُفضله على أي مشروب آخر، فقبل الدعوة.

أخذ الأصدقاء يَمزحون مع الشاويش فترة من الوقت ثم همست «لوزة» في أذن «تختخ» قائلة: ما رأيك إذا روينا حكاية الدكتور «مختار» للشاويش لعله يُفسِّر لنا اللغز؟

قال «تختخ» هامسًا: فكرة لا بأس بها، وإن كنتُ أعتقد أن الشاويش لن يفسر شيئًا.

قالت «لوزة» للشاويش: إننا نُريد أن نعرض عليك مشكلة لم نستطع حلها، ولعلك بخبرتك في العمل بالشرطة تستطيع أن تجد لها تفسيرًا.

تجهَّم وجه الشاويش وقد ظن أن «لوزة» تُريد أن تسخر منه، فسارعت «لوزة» إلى الحديث قائلة: إنها تتعلَّق بشخصية مهمَّة في المعادي ... إنه الدكتور «مختار»، وتستطيع أن تسأله إذا لم تُصدِّقنا.

عندما اطمأنَّ الشاويش إلى حديث «لوزة» اعتدل في جلسته قائلًا: قولوا ما عندكم وسوف أحل المشكلة في دقيقة واحدة.

روى «تختخ» للشاويش حكاية الدكتور «مختار» والمريض الهارب وزميله الهارب ذي العضلات، وزيارتهم للشقة التي لم يُسرق منها شيء، ثم قال «تختخ» في النهاية: ماذا ترى يا سيادة الشاويش في هذه المشكلة؟

ولدهشة الأصدقاء، ودون أن تمضي الدقيقة التي حددها الشاويش، قال: إنها مسألة غاية في السهولة، إن هذا المريض ليس مريضًا، إنه فقط تظاهر بالمرض هو وزميله، فهما ليسا إلا لصَّين دخلا شقة الدكتور بهذه الحيلة لمعرفة ما بها؛ فاللصوص المحترفون يُحاولون دائمًا معرفة المكان الذي سيسرقونه ويدرسون جغرافيته جيدًا حتى إذا سطوا عليه كانت مهمَّتهم سهلة، وهم عادة يُرسلون بائعًا متجولًا ليطرق أبواب الشقق بدعوى أنه يبيع فاكهة أو أي شيء آخر، حتى يطَّلع على المكان ثم يأتون ليلًا لسرقته، وأراهن أن شقة الدكتور سوف تُسرق الليلة ... والحمد لله أنكم أخبرتُموني، فسوف أحرسها الليلة، وأقبض على اللصوص.

قال «محب»: هذا تفسير معقول جدًّا.

وأيده بقية الأصدقاء ... ولكن «تختخ» ظل ساكتًا يُفكِّر!

مزيد من الغموض

قالت «نوسة»: علينا أن نذهب لتحذير عمي الدكتور «مختار».

قال الشاويش: وما زال هناك وقت طويل؛ فاللصوص لن يحاولوا سرقة الشقة في رابعة النهار … ومن الممكن أن تتناولوا الجيلاتي وأشرب أنا الشاي … ثم نذهب معًا إلى الدكتور.

كان الكازينو مزدحمًا، والطلبات تتأخَّر … فمضى الأصدقاء يتحدَّثون مع الشاويش ويَرْوُون له مغامراتهم التي تمَّت بعيدًا عنه، وكان الشاويش يهز رأسه بين مصدِّق ومُكذِّب، فلم يكن يُصدِّق كثيرًا أن هؤلاء الأولاد يُمكنهم عمل شيء … وإن كان يتذكَّر أنهم حلوا كثيرًا من الألغاز قبله.

أخيرًا وبعد أكثر من نصف ساعة جاء الجيلاتي والشاي، وانهمك الجميع في الأكل والشرب، وكان الشاويش يؤكد صدق نظريته مؤكدًا أنه سيَقبض على اللصوص مُتلبِّسين في شقة الدكتور، وهكذا يكون قد سبق المغامرين الخمسة في حل اللغز والإيقاع بالعصابة.

انتهوا جميعًا من تناول الجيلاتي، وشرب الشاويش الشاي ثم انطلقوا بعد قليل إلى عيادة الدكتور.

كانت العيادة خالية من المرضى، ولم يكن «حسني» المُمرض موجودًا أيضًا، فانتظروا فترة دون أن يَظهر ليُخبر الدكتور بحضورهم. وأخيرًا قالت «نوسة»: سأطرق باب الدكتور … وإن كنت أعرف أنه يَتضايق من مقاطعته وهو يقوم بالكشف. تقدمت «لوزة» من غرفة الكشف ودقت عليها دون أن يجيب أحد … ثم دقَّت باب المكتب وسمعت الدكتور يقول: ادخل.

دخلت «نوسة» فوجدت الدكتور وحيدًا يُصحِّح بعض أوراق طلبته في الجامعة، فرفع رأسه، وعندما رآها قال: أهلًا «نوسة»، هل كنتِ في الشقة حتى الآن؟

قالت «نوسة»: أبدًا، لقد تركْنا الشقة منذ حوالي ساعتَين وتركنا المفتاح مع «حسني».

الدكتور: لقد أرسلتُ «حسني» في مشوار ... إنه يوم مُرهِق؛ فقد كان هناك عدد كبير من المرضى، من المدهش أنهم كانوا جميعًا ثرثارين فأخذوا وقتًا طويلًا.

نوسة: إن الأصدقاء معي هنا. ومعنا الشاويش «علي» الذي يُريد أن يتحدث إليك بخصوص المريض الهارب ذي العضلات.

ابتسم الدكتور قائلًا: الشاويش «علي»؟ لعله حلَّ اللغز!

نوسة: لقد حلَّ اللغز فعلًا، وبشكلٍ مُقنِع جدًّا.

أبدى الطبيب اهتمامه، وقال: دعيهم يدخلون.

أسرعت «نوسة» تَستدعي الأصدقاء ... فدخلوا جميعًا ومعهم الشاويش «فرقع» الذي حيًّا الدكتور قال: إني أُحذِّرك يا حضرة الدكتور من عصابة تُريد سرقة منزلك ... والرجلان اللذان زاراك أول أمس ليلًا ما هما إلا لصان خَطِران قاما بالتعرف على شقتك جيدًا ليتمكنا من السطو عليها، هما ومعهما بقية العصابة.

تجهَّم وجه الدكتور قليلًا ثم قال: هل تظن ذلك يا شاويش «علي»؟

رد الشاويش في ثقة: طبعًا، وليس هناك تفسير آخر لما حدث، وسوف أقوم بعمل كمين في الشقة، حتى إذا حضر اللصوص فاجأتُهم وقبضتُ عليهم.

الدكتور: على كل حالٍ سوف أذهب إلى القاهرة هذا المساء لأنَّني مَدعوٌّ إلى العشاء مع بعض الأصدقاء، ثم أدخل السينما حفلة ٩، ولن أعود قبل الساعة الواحدة، وأرجو أن تفاجئ اللصوص قبل حضوري، فلستُ أحب أن أَحضُر شيئًا من هذا القبيل.

الشاويش: مؤقتًا من المهم أن نُبعِد المجوهرات والأشياء الثمينة من المنزل، فلسنا نعرف ماذا سيحدث.

الدكتور: ليس في منزلي مجوهرات أو نقود؛ فنحن نستأجر خزانة خاصة في البنك نضع فيها المجوهرات وما يُهمنا من أوراق، والنقود في البنك، وقد أخذَت زوجتي النقود التي تحتفظ بها في المنزل معها إلى المصيف، وليس معي سوى ثلاثين جنيهًا تقريبًا لا تَستحِق أن تقوم عصابة بعملية سطو من أجلها ...

تختخ: إذن ماذا تريد العصابة أن تسرق؟ هل تريد سرقة الأثاث مثلًا، إنها عملية صعبة في عمارة ممتلئة بالسكان. وقد لاحظت أن جهاز التلفزيون ليس موجودًا وهو من الأشياء التي يسرقها اللصوص.

الشاويش: لا أدري ماذا يريد اللصوص، ولكن هذه احتياطات من واجبي أن أقوم بها.

الدكتور: لا شك في ذلك، وشكرًا لك على كل حال … أرجو أن تمرَّ عليَّ بعد عودة «حسني» لتأخذ المفتاح، وتقوم بعمل اللازم.

سمع الأصدقاء صوت حديث في الصالة فأدركوا أن «حسني» قد عاد، أو أنهم بعض المرضى، فاستأذنوا من الدكتور وخرجوا ومعهم الشاويش، ولم يكن «حسني» قد عاد بعد، وكان المتحدِّثون بعض المرضى.

انصرف الأصدقاء، فدعاهم «محب» إلى قضاء بقية اليوم عنده، فقد أرسل له أقاربه بعض الأطعمة الريفية اللذيذة، فدعاهم إلى الغداء، ووافق الجميع.

قضى الأصدقاء بقية اليوم عند «محب» عدا «تختخ» الذي جلس وحيدًا بعد أن طلب منهم أن يتركُوه ليفكر … وعندما قاربت الشمس على المغيب، بدأ الأصدقاء يستعدُّون لمغادرة منزل «محب»، بعد أن قضوا وقتًا ممتعًا، ولم يكادوا يَصلون إلى الباب الخارجي حتى وجدوا الدكتور «مختار» أمامهم وقد بدا عليه الانزعاج.

قال الدكتور موجهًا الحديث إليهم: شيء غريب حدث؛ فإن «حسني» لم يعد حتى الآن، وكنت قد أرسلته إلى الصيدلية لشراء بعض الأدوية التي أحتاج إليها، وهو مشوار لا يأخذ أكثر من ربع ساعة أو نصف ساعة على أكثر تقدير، ولكنه لم يَعُد حتى الآن … ومفتاح الشقة معه … وقد سألت عنه تليفونيًّا في الصيدلية فعلمت أنه لم يذهب إلى هناك … وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه.

سكَتَ الأصدقاء جميعًا، ودخل الدكتور «مختار» إلى المنزل. حيث استقبله والد «محب» ووالدته، وأمرا بإعداد الغداء له. ولكنه قال أنه تغدَّى في العيادة، وقال: أرجو إذا عاد «حسني» أن تأخُذُوا منه المفتاح، وتُعطُوه للشاويش «علي» ليأخذ احتياطاته، وسوف أذهب بعد قليل إلى القاهرة.

جلس الدكتور «مختار» يشرب القهوة، وبدلًا من أن ينصرف الأصدقاء عادوا للجلوس معه ومع والد «محب» ووالدته.

وفجأةً قالت «نوسة» موجِّهة الكلام للدكتور «مختار»: أعتقد أن «حسني» لن يعود يا دكتور «مختار».

قال الدكتور في انزعاج: لماذا؟ هل تعلمين ما حدث له؟

ردَّت «نوسة» في هدوء: لم يحدث له شيء على الإطلاق. لقد انتهت مهمة «حسني» عندك، ولن يعود.

الدكتور: مهمَّة «حسني» عندي؟! لا أفهم ماذا تقصدين، وهل كانت له مهمة أخرى غير العمل كمُمرض؟

نوسة: قبل أن أشرح لك فكرتي … أريد أن أسألك بعض الأسئلة حتى أتأكَّد مما أقول.

سكتت «نوسة» لحظات، وأنظار الجميع متجهة إليها ثم قالت: هل يعمل عندك «حسني» من فترة قريبة؟

الدكتور: نعم منذ نحو أسبوع واحد؛ فقد سافر عبد العاطي الممرض الأصلي إلى الإسكندرية مع الأولاد ليُعدَّ لي عيادتي هناك؛ فإنني أعمل في أثناء المصيف بعض ساعات، ولي في الإسكندرية زبائن، وقد أحضرت «حسني» بصفة مؤقتة، وكنت أنوي أن أجعله يستمر في العمل معي.

نوسة: وهل كان مُمرضًا متمرنًّا؟

الدكتور: لا … كنت سأمِّرنُه، أمَّا حاليًّا فهو يقوم بتنظيم دخول المرضى فقط، ويساعدني في أشياء صغيرة.

نوسة: هذا ما توقعتُه بالضبط. إن «حسني» عضو في عصابة تبحث عن شيء عندك، وهو الذي يعرف تنقُّلاتك ومواعيدك، وهو الذي حدَّد موعد ذهاب الرجلين إليك، وقصد أن تترك حقيبتك في العيادة، حتى تذهب لإحضارها للكشف على المريض، وفي تلك الفترة قام الرجلان بتفتيش الشقة بسرعة، ولما لم يجدا ما يُريدان انصرفا مسرعَين.

وقفت «نوسة» لحظات والجميع ينصتون إليها بانتباه ثم عادت للحديث: وبالطبع لقد رَويت أنت له ما وقع ليلة أمس، وقلت له إنَّنا سنأتي في الصباح للبحث.

رد الدكتور في ذهول: تمامًا … ولكن كيف عرفتِ؟

نوسة: لقد استنتجت كل شيء، ولكن بعد فوات الأوان؛ فقد لاحظت أن «حسني» كان مُتلهفًا على أخذ المفتاح منَّا وأعتقد أنه أحضر عددًا من الزبائن ليَشغلك بهم، ثم انتهز الفرصة وفتح الشقة وحده، أو معه بعض أفراد العصابة وبحثوا عن الشيء الذي يُريدونه، ولا أدري هل وجدوه أم لا … ثم عاد «حسني» إلى العيادة وكنت سيادتك ما زلت مشغولًا مع المرضى الذين أحضرهم.

قطع الدكتور حديث «نوسة» قائلًا: هذا كلام منطقي جدًّا، لقد كان عدد المرضى أكثر من المعتاد، وأكثرهم لم يكن مريضًا، وكانوا يتحدَّثون كثيرًا معي لإضاعة الوقت.

نوسة: وخرج «حسني» للصيدلية ولم يَعُد، وهو على كل حالٍ كان سيخرج ولا يعود؛ فقد انتهت مهمته عندك ... ولا أدري ما إذا كانت المهمة انتهت بوجود الشيء الذي تريده العصابة، أم بعد أن تأكَّدوا أنه ليس عندك.

قال الدكتور بحيرة وضيق: ولكن ما هو الشيء الذي يبحثون عنه عندي؟

تنهد «تختخ» وهز رأسه قائلًا: هذا السؤال ... كما يقول الكاتب الإنجليزي الكبير وليم شكسبير!

الشيء

كان السؤال عن أي شيء تبحث العصابة، أو هؤلاء الزوار، والمرضى، وغير المرضى ... كان هذا السؤال هو المشكلة ... ولكن هذا الشيء لا بد أنه مهم حتى يغامروا بهذا الشكل ويدسُّوا أحد أعوانهم على الدكتور لتتبُّع حركاته وسكناته.

بعد فترة قال «تختخ»: لو استطعنا دخول البيت ربما أمكَنَنا أن نعرف الإجابة عن السؤال ... فلا بد أنهم فتَّشوا البيت هذه المرة تفتيشًا دقيقًا ... فقد كان عندهم وقتٌ كافٍ وسيادتك مشغول بالمرضى المزيَّفين.

الدكتور: ولكن كيف ندخل الشقة والمفتاح أخذه «حسني» ولم يردَّه، والمفتاح الآخر مع زوجتي في المصيف؟

تختخ: في هذه الحالة نكسر القفل الموجود بالباب، ونُركِّب مكانه قفلًا جديدًا، على الأقل لا تستطيع العصابة بعد ذلك دخول المنزل إلا إذا كسرت الباب أو النافذة. والملاحظ أنهم لم يستعملوا العنف حتى الآن.

عاطف: لماذا لا يَستعملُون العنف؟

تختخ: هذا أفضل، فما داموا يَحصُلون على ما يُريدون دون عنف، فلماذا يستعملونه، ومن ناحية أخرى إنهم بهذا أبعدوا الشرطة عن القضية، فليس هناك شيء سُرق، ولا أحد اقتحم المنزل، ولو رَويتَ ما حدث لأيِّ شرطي لما وجد شيئًا يُخلُّ بالقانون إلا مفتاح الشقة الذي أخذه «حسني» ومن المُمكن أن يقال إنه سيعود، أو أصيب في حادث أو أي شيء، فليس هناك حتى الآن مخالفة واضحة للقانون.

الدكتور: على كل حال بدلًا من إضاعة الوقت في المناقشة، هيا بنا نُحضر نجارًا لفتح الباب، وتركيب قفل آخر؛ لأنني مرتبط بموعد في القاهرة ولا بد أن أذهب.

تحرَّك الأصدقاء جميعًا، وركبوا سيارة الدكتور «مختار»، وفي الطريق أخذوا نجارًا معهم واشتروا قفلًا جديدًا ثم اتجهوا إلى الشقة.

كان الشاويش فرقع يقف أمام العمارة مُتضايقًا، فقد جاء في موعده لعمل الكمين … فشرح له الدكتور ما حدث، فقال الشاويش: إني غير مُوافِق على تركيب قفل جديد للباب، دعوا القفل القديم مكانه بعد أن تَفتحوا الباب؛ فسوف تحاول العصابة دخول الشقة مرةً أخرى، وسوف تجدني في انتظارها.

تختخ: ولكنَّني أتصور أن العصابة لن تُعاود المُحاولة. لقد فتَّشوا الشقة مرتين، وفي المرة الثانية كان عندهم وقت كاف للبحث عما يُريدونه، فإذا كانوا وجدوه فقد انتهى الأمر … وإذا لم يكونوا قد وجدوه بعد التفتيش مرتين فسوف يَصرفُون النظر عن التفتيش مرة ثالثة.

لم يُوافق الشاويش، وباعتباره مُمثِّل السلطة الرسمية، فقد اتفق على فتح الباب وانصرف على أن يعود في اليوم التالي.

دخل الجميع إلى الشقة، وكان الظلام قد هبط فأضاءوا النور … وكانت مفاجأة لهم أن وجدوا الشقة مقلوبة رأسًا على عقب! وكان واضحًا أن العصابة قد فتشت كل ثقب في المكان؛ فالمقاعد مقلوبة … والصور منزوعة من مكانها … وأبواب الغرف التي كانت مُغلَقة قد فتحت … ووقف الدكتور «مختار» يَضرِب كفًّا بكف وهو يقول: شيء خرافي! ماذا حدث في هذه الدنيا؟! ماذا يُريد هؤلاء الناس منِّي! ليس في منزلي شيء خطير إلى هذه الدرجة … إلا إذا كنت لا أعلم عنه شيئًا.

ودار الأصدقاء ومعهم الشاويش فرقع بالشقة يبحثون، ثم سأل الشاويش الدكتور «مختار» السؤال التقليدي: هل هناك شيء فُقد من شقتك؟

قال الدكتور وهو في ثورة: لا أدري … لا أدري … ففي هذه الفوضى الشاملة لا يُمكنُني أن أعرف ما إذا كان هناك شيء ناقص أو لا!

ردَّت «نوسة» بهدوء: سنقوم بإعادة ترتيب الشقة، فمِن المهم جدًّا أن نعرف هل وجدت العصابة ما تبحث عنه أو لا … حتى نُحدِّد خطوتنا التالية …

قال الشاويش: ولماذا لا نَقبض عليهم ونعرف ماذا يريدون؟

تختخ: هذه خطوة مُمكنة إذا استطعت من الأوصاف التي يَعرفها الدكتور معرفة شكل هؤلاء الناس أو حتى وصف «حسني» لكي يُمكِن القبض عليه واستجوابه … أما نحن فسنَقُوم بترتيب الشقة، فما يُهمُّنا هو حل اللغز.

وانهمك الأصدقاء جميعًا في إعادة كل شيء إلى مكانه في الوقت الذي انسحب فيه الدكتور والشاويش إلى غرفة الموسيقى الصغيرة وجلَسا يتحدثان، والدكتور يصف الشخصين اللذين زاراه ليلًا ثم «حسني» وبقية أفراد العصابة الذين تظاهروا بأنهم مرضى ... ولكن الشاويش لم يجد في ذاكرته أشخاصًا لهم نفس الصفات.

وكان الأصدقاء قد انتهوا من إعادة ترتيب الشقة، وقامت الفتاتان بالتنظيف حتى إن الدكتور ابتسم عندما رأى كل شيء في مكانِه نظيفًا ولامعًا.

قال الدكتور «مختار» وهو يطوف بالغرف وينظر إلى كل شيء وكل ركن بإمعان: مرة أخرى أُؤكد لكم أن شيئًا من منزلي لم يضع ... لا شيء على الإطلاق ... كل شيء في مكانه ... حتى قطع الكريستال التي يُمكِن سرقتها لم تُسرَق ... إن عقلي يكاد يطير ... ماذا يريد هؤلاء الناس مني بالضبط؟!

قالت «نوسة»: أقترح يا عمي أن أعدَّ لك فنجانًا من القهوة، ثم تستمع إلى بعض الموسيقى لتهدأ أعصابك، وتَستطيع قضاء سهرتك في القاهرة.

الدكتور: اقتراح معقول جدًّا، وسوف أعتذر عن السهرة الليلة وأبقى معكم، ثم أدعوكم إلى عشاء خفيف هنا. ثم تَنصرفُون ويبقى معي الشاويش ... فقد تحضر العصابة، وبودي أن أعرف منهم ماذا يريدون منِّي بالضبط.

وافق الجميع على اقتراح الدكتور، وبدءوا يُجهِّزون العشاء، وكانت فرصة لأن يأكلوا مع الشاويش عيشًا وملحًا ويَبدءوا معه علاقة جديدة مفيدة بدلًا من العلاقات السيئة التي بينهم وبينه.

ولكن برغم أن العشاء قد جُهز ... فقد قُدِّر لهم ألا يتناولوه على الإطلاق ... لقد اتَّضح كل شيء فجأة!

فقد دخل الدكتور غرفة الموسيقى ليختار بعض الأشرطة التي سيَسمعها مع الأصدقاء، ولكن بعد لحظات خرج وقد شحب وجهه ... وبدا عليه الانزعاج الشديد، ثم قال بصوت حاول أن يجعله هادئًا: لقد سرقوا كل الأشرطة التي عندي!

توقف الجميع عن الحركة كأنما تجمَّدُوا في أماكنهم ... وأخذوا ينظرون إلى الدكتور وقد أذهلتهم المفاجأة.

وكان أول من تحدث «تختخ» الذي ضرب جبهته بيده قائلًا: إنني أكبر حمار على وجه الأرض ... لقد فكَّرت في هذا بضع مرات ولكني استبعدته ... لقد جاءت العصابة أول مرة وهم يعلمون بواسطة «حسني» أن الغرفة الوحيدة المفتوحة هي غرفة الموسيقى ... ومع ذلك حضروا ... إذن فقد كانت غرفة الموسيقى هي هدفهم ... إنهم يُريدون الأشرطة!

لوزة: ولكن لماذا لم يأخذوها أول مرة؟ ... لماذا عادوا مرة أخرى؟

تختخ: ربما كانوا يبحثون عن أشرطة معيَّنة، لم يجدها الرجلان الأولان، ولما أخبرا العصابة بذلك تقرر أخذ كل الأشرطة ليبحثوا بينها عن الأشرطة التي يريدونها.

الدكتور: ولكن لماذا يُريدون سرقة الأشرطة ... هل هي عصابة من هواة الاستماع إلى الموسيقى؟

أخذ الجميع يُفكِّرون في الإجابة عن هذا السؤال ... ثم قال «محب»: لعلَّ عندك يا عمي أشرطة نادرة ليسَت موجودة، وتُساوي مبلغًا كبيرًا من المال لهذا يبحثون عنها.

الدكتور: عندي أشرطة فعلًا شبه نادرة، ولكن يُمكن لأيِّ هاوٍ أن يشتري الأسطوانات القديمة ويُسجلها على أشرطة، ولن تُكلِّفه المسألة إلا بضع عشرات من الجنيهات، ولو كانت العصابة تريد أن توفر هذه الجنيهات لسرقوا ما أمامهم من تحف تساوي المئات.

تختخ: هذا كلام معقول جدًّا ... إن الأشرطة التي كانت تبحث عنها العصابة ليست مجرد أشرطة مسجل عليها أشياء مهمَّة ... ولكن هل عندك يا دكتور أشرطة مسجل عليها شيء غير الموسيقى والأغاني؟

الدكتور: مطلقًا ليس عندي سوى الموسيقى والأغاني، وأحسَّ الأصدقاء باليأس يتسرَّب إلى قلوبهم ... فبعد أن تصوَّروا أنهم حلُّوا اللغز، وقفوا أمام عقبة غامضة!

قالت «لوزة» فجأة: لعلك اشتريت أشرطة على أنها أشرطة موسيقى، والحقيقة أن عليها أشياء أخرى تهمُّ هذه العصابة ...

كانت فكرة ممتازة حقًّا! وضرب الدكتور رأسه بيده قائلًا: معك حق، لقد اشتريت منذ أيام قليلة جهاز تسجيل ومعه بعض الأشرطة المستعمَلة ولكني لم أتمكَّن من سماعها ... فالأولاد أخذوها معهم إلى المصيف؛ لأن الجهاز الجديد صغير وسهل الحمل، ففضلت زوجتي أن تأخذه معها، على أن نسمع الأشرطة معًا في الإسكندرية. قال «تختخ» وهو يُربِّت على كتف «لوزة» الذكية: لقد انكشف الغموض؛ فالعصابة تريد هذه الأشرطة بأيِّ ثمن، وقد حضر الرجلان للبحث عنها أولًا، ولكنهما لم يجداها، وفي الثانية قررت العصابة أن تأخذ جميع الأشرطة لعلها تعثر بينها على الشرائط المطلوبة.

جلس الجميع وقد أحسوا براحة لأنهم وصلوا إلى حلِّ اللغز ... ولكن فجأة قال «محب»: هل يعلم «حسني» أن الأولاد في الإسكندرية؟ ... وهل يعرف عنوانهم؟ قد تستنتج العصابة أن الأشرطة في الإسكندرية.

قفز الدكتور واقفًا وقال: «حسني» يعرف أنهم في الإسكندرية، ولكنِّي لا أذكر هل يعرف عنوانهم أو لا ...

قال «عاطف»: أعتقد أن علينا أن نذهب إلى الإسكندرية فورًا ... أولًا لنسبق أفراد العصابة قبل أن يسطوا على منزلك في الإسكندرية وقد يُصيبون الأولاد بأذًى ... وثانيًا حتى نستمع إلى هذه الأشرطة ونَعرف السر في اهتمام العصابة بها.

واتفقوا على أن يُسافر «تختخ» و«محب» و«نوسة» مع الدكتور، ويبقى «عاطف» و«لوزة» في المعادي ... وبعد ساعة كان كلٌّ منهم قد أحضر حقيبتَه وانطلقت سيارة الدكتور تشق الظلام إلى الإسكندرية.

سلسة من المفاجآت

غادرت السيارة المعادي مسرعة، وبعد دقائق أصبحت على مشارف القاهرة.

فقال الدكتور: لقد فكَّرت أن أتصل بهم تليفونيًّا ... وفي ميدان التحرير مكتب للتليفون. على الأقل لنطمئنَّ قبل وصولنا.

وصلوا إلى مكتب التليفون، ونزل الدكتور و«محب» وطلب الرقم، وبعد لحظات قال الموظف: كابينة رقم ٣.

أسرع الدكتور إلى الكابينة وأمسك بالسماعة ... كان الجرس يدقُّ دون أن يسمع ردًّا ... وبعد نحو دقيقة تأكَّد أن لا أحد هناك ... ولن يرد أحد.

خرج الدكتور «مختار» من الكابينة وقد شحب وجهه ... وقال لـ «محب» في اضطراب: لا أحد يرد ... إن ذلك يُقلقني جدًّا.

محب: لا داعي للأفكار السوداء ... لعلهم قد خرجوا في نزهة، أو دخلوا السينما أو المسرح فهيا بنا.

عاد إلى العربة وانطلقت بهم السيارة مسرعة بعد أن أخبر «محب» «تختخ» و«نوسة» أن أحدًا لم يرد.

كان الصمت يشمل العربة وهي تمضي على الطريق مسرعة ... وكلٌّ منهم قد استغرق في تفكير عميق ... ماذا حدث في الإسكندرية؟ هل استطاعت العصابة الوصول إلى عنوان أسرة الدكتور؟ وهل حصلت على الأشرطة التي تَبحث عنها؟ وهل حدث شيء للأسرة؟ والسؤال المُهم ... ماذا في هذه الأشرطة؟

لم تكن هناك إجابة واحدة مُمكنة عن هذه الأسئلة ... ووصلت السيارة إلى بنها ثم تجاوزتها والصمت يُخيِّم على السيارة عدا صوت الموتور ... وكانت هناك سيارات كثيرة في طريقها إلى الإسكندرية ... كلها تَتسابق للوصول إلى مدينة البحر والراحة ... عدا سيارتهم

التي كانت تسير مُسرعة تُسابق الزمن للوصول إلى منزل الدكتور «مختار» قبل أن تصل العصابة.

وأحست «نوسة» بالجوع ... فهم لم يتعشَّوا بَعدُ ... ومالت على شقيقها «محب» قائلة: إني جائعة ... هل تقول لعمي الدكتور «مختار»؟

رد «محب»: لعلَّه سيقف في طنطا لإراحة السيارة كالمعتاد وفي إمكاننا في هذه الحالة أن نأخذ ساندوتشًا سريعًا ...

ومضى الوقت واقتربت السيارة من طنطا. وأخذت «نوسة» تدعُو في سرِّها أن يقف الدكتور «مختار» ولكنه تَجاوز المدينة مسرعًا دون أن يتوقَّف ... لقد كانت كل دقيقة لها قيمتها ... ولكن فجأة حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد انفجر إطار السيارة، وأخذ الدكتور يُحاول إيقافها قبل أن تنقلب أو يحدث شيء. فانفجار الإطار والسيارة مسرعة غاية في الخطورة. ولحسن الحظ استطاع الدكتور «مختار» أن يوقف السيارة قريبًا من إحدى الاستراحات التي تقف عندها السيارات بعد طنطا ... مباشرة.

أحسَّ الدكتور «مختار» بالضيق الشديد، ولكنه كظم غيظَه، ونزل معه الأصدقاء واتجهوا إلى الكازينو الصغير، فرأوا بجوارِه ميكانيكيَّ سيارات، وتقدم الدكتور من أحد العمال وطلب منه أن يركب الإطار الإضافي ... وأعطاه مفتاح الشنطة التي بها الإطار.

اتجه الجميع إلى الكازينو. وطلبوا بعض السندوتشات والكوكاكولا حتى يتمَّ تركيب الإطار.

قالت «نوسة»: هل تُؤجر شقتك التي في الإسكندرية منذ زمن طويل يا دكتور؟

الدكتور: لا ... لقد كنتُ أستأجِر شقة دائمة. ولكنِّي تركتُها هذا العام واستأجرت شقة أخرى ...

نوسة: هذا لحُسنِ الحظ، وإلا كان في إمكان العصابة أن تعرف عنوانك من دليل التليفونات ...

أحس الدكتور ببعض الاطمئنان وقال: في هذه الحالة لن تتمكَّن العصابة من معرفة العنوان مطلقًا.

نوسة: في إمكانها أن تعرف عن طريقنا نحن؛ فإذا كان هؤلاء المجرمون على قدر من الذكاء، فمن السهل عليهم أن يَتبعوا سيارتنا ...

ما كادت «نوسة» تقول هذه الجملة، حتى أخذ الجميع يتلفَّتون حولهم، وقد خُيِّل إليهم أن جميع الجالسين في الكازينو من العصابة، وعاود القلق الدكتور فقام يستعجل الميكانيكي الذي كان منهمكًا في تركيب الإطار.

قال الدكتور: هل انتهيت؟

المنادي: آسف، إن المكان هنا مُظلم، لهذا فقد تأخرت قليلًا ولكن بعد دقائق سوف أنتهي.

عاد الدكتور إلى الأصدقاء الذين قد فرغوا من تناول طعامهم، فدفع الدكتور الحساب ثم اتجه الجميع إلى السيارة مرةً أخرى …

كان الميكانيكي قد انتهى فعلًا من تركيب الإطار، وأغلق حقيبة السيارة وسلَّم الدكتور المفاتيح. وانطلقت العربة مرةً أخرى تسابق الريح إلي الإسكندرية وقد ازدادت لهفة الجميع على معرفة ما حدث هناك …

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والنصف ليلًا عندما دخلوا الإسكندرية، وكان الدكتور يَسكُن في المعمورة … فكان ما زال أمامهم نحو نصف الساعة حتى يصلوا إلى هناك وأخذت السيارة تخطف الكورنيش خطفًا وكان هواء البحر الملحي الرطب يدخل من نوافذها المفتوحة، فأحس «تختخ» بنوعٍ من الاسترخاء. تمنَّى معه أن ينزل من السيارة ويتَّجه إلى الكورنيش ليسير وينسى هذه المغامرة كلها …

ولكن السيارة مضَت وسط زحام الكورنيش … والدكتور «مختار» يقودها مسرعًا فقد اقتربت الساعة التي يتَّضح فيها ما حدث …

أخيرًا دخلت السيارة المعمورة بعد أن عبرت مزلقان السكة الحديد واتَّجهت، مسرعة إلى فيلَّا الدكتور «مختار» … وكانت المفاجأة الأولى أن وجدوا الفيلا مُطفأة الأنوار، فهل نامت الأسرة؟! أم لم تَعُد بعدُ من نزهتها الليلة …؟

قال الدكتور وهو يدور بالسيارة ليقف: لحُسن الحظ أن معي مفتاحًا آخر للفيلا، وسنَعرف فورًا ماذا حدث.

أوقف الدكتور السيارة ثم فتح الباب وقفز خارجًا، وتبعته «نوسة» و«محب» أما «تختخ» … فقد أحسَّ بشيء ما … أحس أن هناك حركة في شنطة السيارة … خُيِّل إليه أنه سمع حركة خفيفة … فهل كانت وهمًا أو حقيقة! نزل «تختخ» وبدلًا من أن يصعد الفيلا، دار حول العربة، وفي الضوء الخفيف شاهد باب الشنطة يُفتَح … ثم يخرج منه رجل طويل القامة مفتول العضلات! كانت مفاجأة لـ «تختخ» … أذهلته … وانتهز الرجل الفرصة وضرب «تختخ» لكمةً طرحتْه أرضًا وأطلق ساقيه للريح. واستعاد «تختخ» توازنه بعد لحظات ثم جرى خلفه … ووجد نفسه يَصيح طالبًا النجدة … وبدأ عدد من المصيِّفين ينضمُّ للمُطارَدة … ولكن الرجل المفتول العضلات كان سريعًا كالسهم فسبق مطارديه جميعًا … ثم كانت المفاجأة الثانية عندما اتجه إلي البحر وبلا تردُّد ألقى بنفسه فيه …

كان البحر مظلمًا ... وسرعان ما اختفى الرجل ولم يستطع أحد متابعته ... ولم يجد «تختخ» فائدة من الوقوف مع العشرات الذين اجتمعوا على البلاج ... وقبل أن يسأله أحد عما حدث ... استدار عائدًا ...

عندما وصل «تختخ» إلي السيارة مرةً أخرى وجد الدكتور و«محب» يقفان معًا ... فسألهما عن «نوسة» فقالا إنها في الفيلا.

قال «تختخ»: ماذا وجدتما؟

قال الدكتور بضيق: لا أحد فوق.

تختخ: وجهاز التسجيل والأشرطة؟

الدكتور: ليسَت فوق أيضًا!

تنفَّس «تختخ» الصُّعَداء وابتسم قائلًا: إذن كل شيء على ما يرام.

الدكتور: كيف؟

تختخ: إن العصابة لم تَعرف مكان الأسرة إلا منذ دقائق.

الدكتور: هل أنت مُتأكِّد؟

تختخ: متأكد جدًّا ... فقد كانت العصابة تتبعنا من القاهرة عندما توقَّفنا في طنطا لإبدال الإطار. واستطاعت بطريقة ما أن تضع أحد رجالها في شنطة السيارة.

نظر الدكتور و«محب» ... معًا إلى شنطة السيارة التي كانت ما تَزال مفتوحة وقالا في نفَس واحد: وأين الرجل؟

تختخ: للأسف الشديد استطاع الفرار ... فقد سمعتُ صوت حركتِه ونزلت دون أن أتوقَّع أن أجده ... وأذهلتْني المُفاجأة فاستطاع الرجل أن يَلكمني لكمة قوية وأطلق ساقَيه للريح وقد جريت خلفه وساعدني بعض المصطافين ولكنَّنا لم نلحق به؛ فقد ألقى بنفسه في البحر واختفى في الظلام.

ومدَّ «تختخ» يده إلى اللطمة التي أصابت فكَّه، فاقترب الدكتور منه ومدَّ يده يتحسَّس فك «تختخ» ويُديره ثم قال: الحمد لله ليس هناك كسور ... هناك كدمة بسيطة تحتاج لبعض الكمادات.

صعد الجميع إلى الفيلا، وكانت «نوسة» تَجلس في الشرفة تستمتع بهواء البحر بعد الرحلة المُتعبة ...

قال الدكتور وهم يجلسون بجوارها: إنَّ العصابة الآن تعرف مكاننا، ولعلَّها ستُجرِّب الليلة أن تسطو على الفيلا ...

محب: لا أظن أنهم سيُحاولون الليلة أن يفعلوا شيئًا؛ فهم يعلمون أننا في انتظارهم.

الدكتور: وماذا نفعل الآن؟

نوسة: ليس علينا إلا أن نجلس وننتظر ... فسوف تعود الأسرة بعد السهرة وسوف نجد جهاز التسجيل والشرائط، ونستمع إليها ونعرف ما فيها ونحل اللغز العجيب.

وقام الجميع بالاغتسال، ثم أعدوا بعض أكواب الشاي، وجلسوا ينتظرون عودة الأسرة، وكلٌّ منهم يفكر في الشرائط، وما قد تحمله من أسرار وأخبار.

أين الشرائط؟

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة دون أن يظهر أثر لأسرة الدكتور «مختار»، وأحس الرجل بالقلق، فأخذ يتنقل بين الشرفة الواسعة على البحر والغرف الداخلية، وكانت شوارع المعمورة حافلة بالمارة ... من المُصطافين والزوار ... والباعة ... والحياة كلها تضجُّ بالحركة ...

قالت «نوسة»: إنني مُتعَبة جدًّا وفي حاجة للراحة ... سأدخل لأنام، وأرجو إيقاظي إذا حضروا.

بقيَ الدكتور و«تختخ» ... و«محب» ... يسودهم الصمت ... وتتردَّد في رءوسهم الأفكار ... ماذا حدث للأسرة وماذا حدث للشرائط؟ وكانوا كلما توقفت سيارة قريبة منهم أسرعوا يُطلُّون عليها. وبعد فترة وقفت سيارة تاكسي بجوار الفيلا. وعندما نظر «محب» إليها صاح: لقد عادوا. أسرع الجميع ينزلون ... كانت زوجة الدكتور وابنته «عالية» وابنه «أحمد» ينزلون من السيارة فعلًا ... ودُهشَت الزوجة عندما رأت الدكتور ومن معه ... ولكن دهشتها زادت عندما سألها الدكتور: أين جهاز التسجيل؟

ردت ببساطة: لقد كان معنا في الفرح.

الدكتور: وأين هو الآن؟

الزوجة: لقد تركْناه هناك.

كانوا قد دخلوا الفيلا ... وأخذ «محب» و«تختخ» و«عالية» و«أحمد» يستمعون إلى الحوار الدائر بين الدكتور وزوجته باهتِمام ... ومضَت الزوجة تشرح ما حدث قائلة: لقد دُعينا إلى فرح عند بعض أصدقائي الذين أعرفهم من المعادي وقد طلبُوا أن نُحضرَ معنا جهاز التسجيل ليسجلوا عليه هذه المناسبة السعيدة ... فأخذنا معنا جهاز التسجيل ...

الدكتور: وأين الجهاز الآن؟

الزوجة: لقد طلبت العروس أن نتركَه لتستمع إلى التسجيل. فلم أجد مانعًا من ذلك. خاصة وأننا لم نَجد على أكثر الأشرطة أغانيَ أو موسيقى كما كنا نتصوَّر.

تدخل «تختخ» في الحديث قائلًا: وماذا كان عليها إذن؟

قالت الزوجة وهي تحاول التفكير: لا أذكر بالضبط … ولكن كان عليها كلام كثير … كلام بين رجال كانوا في جلسة خاصة.

قال الدكتور باهتمام: ألا تَذكُرين شيئًا منه؟

الزوجة: لا، لا أذكر؟

تختخ: وهل سجَّلتم الفرح على نفس الأشرطة بعد أن محوتم الكلام المسجل عليها؟

الزوجة: لا لقد استمرَّ الفرح نحو ثلاث ساعات ويبدو أننا سجَّلنا شريطًا واحدًا على وجهين. وهناك ثلاثة أشرطة أخرى بقيَت كما هي.

محب: وماذا نفعل الآن؟ هل نذهب لإحضار الأشرطة من عند العروسَين؟

نظر الدكتور إلى ساعته … كانت تقترب من الواحدة صباحًا فقال: إنه موعد غير مناسب على الإطلاق!

ثم التفت إلى زوجته قائلًا: وهل غادرتُم الفرح بعد انتهائه؟

الزوجة: لا، لقد تركناه وما تزال هناك بعض فقرات باقية …

محب: أقترح أن نذهب فورًا …

الزوجة: ولكن ما أهمية هذه الأشرطة؟ إنها كلها لا تُساوي بضعة جنيهات …

قال الدكتور: لقد دارت حول هذه الأشرطة مشاكل لا نهاية لها … وتعرَّض منزلنا في المعادي للسطو مرتين.

وأبدت الزوجة و«عالية» و«أحمد» دهشتهم لهذه الإجابة، فشرح لهم الدكتور بسرعة كل ما حدث منذ دخول المريضين عنده حتى حضورهم إلى الإسكندرية … والاستِنتاجات التي توصَّلُوا إليها حول هذه الأشرطة.

وعاد الدكتور يسأل: وهل عند أصحاب الفرح تليفون؟

الزوجة: لا، إنها شقة جديدة لم يدخل بها تليفون.

محب: لا زلت أقترح يا عمي أن نَذهب فورًا، لعلنا نصلُ في وقتٍ مناسب ونستعيد الأشرطة … أو ما بقيَ منها بدون تسجيل.

وافق الدكتور على الاقتراح، وأسرع هو و«محب» و«تختخ» إلى السيارة بعد أن حصلوا على العنوان من زوجة الدكتور …

مرةً أخرى كانوا في سباق مع الزمن ... هل يصلون في وقت مناسب؟ هل يحصلون على الأشرطة؟ وهل ما زال على الأشرطة الحديث الهام الذي تسعى العصابة للحصول عليه.

أسئلة كثيرة في رءوسهم وهم ينطلقون بالعربة بأقصى سرعة في طريقهم إلى مكان الفرح بعيدًا في المنشية ...

أخيرًا وصلوا إلى مكان الفرح ... وكان السرادق الذي أقيم به الفرح ما زال مُضاءً، ولكن المدعوِّين كانوا قد انصرفوا كلهم تقريبًا ... وبدأ العُمال ينزلون الزينات ... ويطفئون الأنوار.

أوقفوا السيارة وأسرع الدكتور يتحدَّث إلى أحد العمال قائلًا: مِن فضلك هل هذا فرح الأستاذ «مدحت فراج»؟

قال الرجل مبتسمًا: نعم ... ولكنَّكم وصلتم بعد الهنا بسنة ... فقد انتهى الفرح منذ نصف ساعة ... لقد كان فرحًا جميلًا ...

الدكتور: وأين العريس والعروس؟

الرجل: لقد ذهبوا لقضاء بقية السهرة بدعوة من بعض الأصدقاء في كازينو.

الدكتور: أي كازينو؟

الرجل: لا أعلم.

الدكتور: أليس هناك أحد من أقارب العروسين هنا؟

الرجل: لا ... لقد رحلوا جميعًا ...

نظر الدكتور إلى «تختخ» و«محب» مُتضايقًا ثم قال: أعتقد أننا عملنا ما علينا، ولا داعيَ للاستمرار في هذه المغامَرة المُتعِبة، وليذهب جهاز التسجيل والأشرطة والعصابة كلها إلى الجحيم.

قال «تختخ»: ولكن تذكَّر يا دكتور أن العصابة لن تتركك في حالك ما دام جهاز التسجيل عندك.

الدكتور مُتضايقًا: ولكنه ليس عندي الآن ... ثم إنني لستُ من هواة المغامرات وحل الألغاز، ولا يُهمني ماذا على الأشرطة ... لقد كنتُ مهتمًّا فقط بالاطمئنان على أسرتي ... وبعد هذا لن أبحث عن شيء.

واتجه الدكتور إلى السيارة، ووقف «تختخ» و«محب» ينظران أحدهما إلى الآخر وقد أحسَّا أن المغامرة قد انتهت دون أن يَحُلا اللغز.

اتجها معًا إلى السيارة. وفجأةً قال «محب»: ما رأيك يا دكتور أن نبحث عن العروسين في الكازينوهات؟ إنهما طبعًا سيذهبان إلى كازينو درجة أولى ... وعددها لا يزيد على خمسة أو ستة كازينوهات ... وسوف نستطيع الوصول إليهما في أقل من ساعة.

فكَّر الدكتور قليلًا ثم أدار السيارة واتجهوا إلى كازينو سان ستيفانو ... وسألوا عامل الباب عن عروسين دخلا الكازينو، فقال إنه لا عرسان هناك ... ومن سان ستيفانو إلى الشاطبي ومرة أخرى لا شيء ... إلى سانتا لوتشيا لا شيء ... مرُّوا بأكثر الكازينوهات ... والدكتور ضيق الصدر وأخيرًا وصلوا إلى ملهى بلاي بوي ... وقال عامل الباب إنَّ عريسًا وعروسة قد حضرا من نحو ساعة وأنهما ما زالا بالداخل مع المدعوِّين ...

أحس الثلاثة أنهم وصلوا أخيرًا في الوقت المناسب ... وسرعان ما وقعت أبصارهم على عروسَين يجلسان بين عدد كبير من المدعوِّين على إحدى الموائد ... فوقفوا ينظرون إليهما في أمل كبير ...

قال «تختخ» للدكتور: تعرف العريس أو العروس؟

الدكتور: أبدًا. إنهم كما قالت «رجاء» زوجتي من أقارب أصدقائها الذين تَعرفهم من المعادي وأنا لا أعرفهم.

محب: إذن كيف سنتحدَّث إليهما؟

الدكتور: أنا شخصيًّا أخجل جدًّا من الحديث إلى الغرباء ... خاصة في مثل هذا الموضوع ... كيف أذهب إليهما وأسألهما عن جهاز تسجيل وأشرطة ... في هذه اللحظة ... وهما لا يَعرفانني؟

واتجهت أنظار الدكتور و«محب» إلى «تختخ» ... كان هو المرشح الوحيد الذي يمكن أن يُقدِم على هذه المغامرة.

لم يستطع «تختخ» أن يمنع نفسه من الابتسام، وهو يشدُّ قامته قائلًا: لقد خضت عشرات المغامرات ... ودخلت في غُرَف مغلقة ... وفي نيران مشتعلة، وقابلتُ أعتى المُجرمين ... ولكنني لم أشعر بالرهبة بقدر ما أشعر بها الآن! ثم تقدم ببساطة إلى العروسين وسلم عليهما بين دهشة الحاضرين وقبل أن يسألهما عن اسم العريس ... تذكر أن في إمكانه أن يسأل أحد المدعوِّين، وهكذا مال على أحدهم وسأله: ما اسم العريس من فضلك؟

وابتسم الرجل ابتسامة دهشة وقال: هل تُسلِّم على العريس دون أن تعرفه! هذا شيء مُضحِك للغاية.

وقبل أن يتمكَّن «تختخ» من إيضاح موقفه كان الرجل قد أخبر المدعوِّين حوله وانطلقت الضحكات من كل الجالسين ... كان الموقف مُحرِجًا للغاية لـ «تختخ» ونظر من بعيد فوجد الدكتور و«محب» ينظران إليه وهما يَضحكان.

وأحسَّ أن المغامرة قد انقلبت إلى نكتة مضحكة.

لاحظ أحد المدعوِّين حيرة «تختخ» فسأله: لماذا تسأل عن اسم العريس ... هل هناك مسألة مهمة؟

رد «تختخ»: نعم هناك مسألة مهمة تخصُّ العريس «مدحت فراج» فهل هذا العريس اسمه «مدحت».

رد الرجل مبتسمًا: للأسف ليس هو العريس المقصود، إنَّ هذا اسمه «فريد عليوة» وليس «مدحت».

شكر «تختخ» الرجل وانسحب مُسرعًا، وهو يتصبَّب عرقًا، وأسرع إلى الدكتور و«محب» وكان واضحًا أن مهمَّته قد فشلت، فقال الدكتور وهو يستدير ليخرج: لقد فعلنا كل ما بوسعنا ... وآن لنا أن نعود لنستريح؛ فإن قيادة السيارة طول النهار قد أتعبتني ...

لم يكن أمام الصديقين ما يمكن عمله إزاء هذا الموقف، وهكذا ألقيا بنفسيهما في السيارة وانطلقت بهما عائدة إلى المعمورة، وقد أحسَّا بالفشل والتعب معًا.

المطاردة

في أثناء عودتهم على الكورنيش قال الدكتور «مختار»: إنني جائع ولا بدَّ أنكما جائعان … فهيا نأكل بعض الساندوتشات فقد اقتربت الساعة من الثانية صباحًا …

كان هناك محلٌّ صغير على الكورنيش يَبيع الساندوتشات والكوكاكولا … فوقفوا بالسيارة عنده … وطلبوا الساندوتشات … وطلب «محب» من الرجل زجاجة كوكاكولا مثلَّجة ولكن الرجل اعتذر قائلًا: لقد فرغَت الكوكاكولا المثلجة … فقد شربها كلها الأستاذ «مدحت» وضيوفه.

مدحت؟! لم يَكدْ «محب» يسمع اسم «مدحت» حتى تذكر العريس فسأل الرجل: الأستاذ «مدحت فراج»؟

الرجل: نعم … هل تعرفه؟

محب: أليس هو عريس الليلة؟

الرجل: تمامًا … لا بدَّ أنك تعرفه …

محب: هل كان هنا كما تقول؟ يا لها من مصادفة مُدهِشة.

الرجل: نعم … لقد اعتاد الأستاذ «مدحت» أن يمر ليلًا ليأكل عندي الساندوتشات ويشرب الكوكاكولا المثلَّجة … ومنذ أكثر من خمسة عشر عامًا لم يقطع هذه العادة أيام كان أعزب … وكان لطيفًا منه أن يمرَّ الليلة كالعادة … ولآخر مرة ليأكل الساندوتشات ويشرب الكوكاكولا هو وعروسه والمدعوون جميعًا … كانت لفتةً ظريفة منه … صحيح أنه لم يَأكُل لأنه تعشى في أحد المطاعم، ولكنه شرب زجاجة كوكاكولا وأعطاني جنيهًا كبقشيش.

كان «تختخ» يُفكِّر فيما يبغي عمله … أليس من الممكن أن يذهبوا الآن إلى شقة الأستاذ «مدحت» ويطلبوا جهاز التسجيل والأشرطة؟!

قال «محب» للدكتور و«تختخ»: لقد كان «مدحت» هنا منذ دقائق قليلة ... لقد عاد حالًا إلى شقته وأقترح أن نذهب فورًا فهذه فرصتنا ...

لم يتحمَّس الدكتور للاقتراح، ولكن تحت إلحاح «تختخ» و«محب» أدار السيارة، واتجه ثانية ناحية المنشية ولم تكن الشوارع مُزدحمة في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... وهكذا استطاع أن يقطع الطريق بسرعة إلى هناك ... ولكنَّهم عندما وصلوا إلى المنزل ... لم يكن هناك سوى سيارة تتحرَّك ... ويبدوا أنها كانت السيارة التي حملت العروسين، فاقتربوا منها ... ولكن لم يكن فيها عريس أو عروس، كان بها كما هو واضح بعض المدعوِّين ...

نزل «تختخ» مسرعًا واقترب من السيارة ... وتحدث إلى من فيها سائلًا عن الأستاذ «مدحت» وعروسه فردَّت إحدى السيدات: لقد صعدا الآن إلى الشقة ... ثم دارت السيارة وانطلقت. ووقف «تختخ» وحيدًا يفكر ... ماذا يُمكن عمله الآن ... هل يصعد إلى الشقة ويدق الباب ويطلب جهاز التسجيل والشرائط ... ولكن ... هل يصح هذا؟ هل يصح أن يقلق العروسين في ليلة الزفاف ويطلب الجهاز ... وبفرض أنه كان ثقيلًا وفعلها ... هل يُصدقُه «مدحت» ويُعطيه الجهاز وهو لم يرَه من قبل؟!

عاد «تختخ» إلى السيارة، وروى للدكتور و«محب» ما حدث فقال الدكتور: لا يصحُّ مطلقًا أن تصعد إليهما الآن ... وعلى كل حالٍ لقد عرفنا المكان. وغدًا صباحًا نَحضُر ومعنا زوجتي لنأخذ الأشرطة والجهاز ...

ودارت السيارة. واتجهت رأسًا إلى المعمورة حيث شقة الدكتور. وفتح الباب ... وكان الجميع نائمين ... وسرعان ما خلع الثلاثة ثيابَهم ولبسُوا ثياب النوم ... ودخلوا أَسرَّتهم. ولم تمض لحظات حتى كانوا قد استغرقوا في نوم عميق بعد تعب اليوم الطويل.

استيقظ «محب» متأخرًا في التاسعة ... وكان الدكتور و«تختخ» ما زالا نائمَين ... وبعد أن اغتسل، وبدأ في الإفطار قالت له زوجة الدكتور: لقد أبلغتُم الشرطة أمس ... أليس كذلك؟

محب: لا، لم نُخطِر الشرطة ... فحتى الآن ليس هناك شيء يمكن إخطار الشرطة عنه في الإسكندرية ... وقد أخطرنا الشاويش «علي» في المعادي عن سرقة الأشرطة.

الزوجة: هل أنت متأكِّد أنكم لم تُخطرُوا الشرطة؟

محب: متأكد طبعًا فنحن معًا طوال الوقت، ولو أخطر أحدنا الشرطة لعلم الآخر ...

قالت الزوجة في استغراب شديد: ولكن أحد ضباط الشرطة اتَّصل بي أمس وسألني عنكم.

توقف «محب» عن الطعام وقال: سأل عنا؟

الزوجة: نعم … بعد خروجكم بفترة ليلًا، اتصل بي ليعرف أين ذهبتم، فأخبرته بمكان الفرح ليُقابلَكم هناك.

أدرك «محب» فورًا أن هذا الضابط ليس إلا أحد أفراد العصابة … فسأل زوجة الدكتور: وهل قلتِ شيئًا عن جهاز التسجيل؟

الزوجة: ظننتُ أنكم رويتُم له القصة … فأخبرته أن جهاز التسجيل والأشرطة أخذته صديقتي «دولت» والدة العريس وأعطيته العنوان.

أحسَّ «محب» كأنَّ كارثة وقعت على رأسه … وأخذ يُبحلِق في وجه زوجة الدكتور في بلاهة شديدة … فلا شكَّ أن العصابة قد سبقتْهم إلى الأشرطة وانتهى اللغز إلى الأبد …

في تلك اللحظة ظهر الدكتور خارجًا من غرفة النوم، وبعد لحظات خرج «تختخ» وانضمَّا إلى «محب» والزوجة.

فقالت زوجة الدكتور: إنني أراك مُنزعجًا يا «محب» هل حدَث شيء …؟

محب: لقد حدثَت أشياء!

الدكتور: ماذا هناك؟ هل حدث شيء جديد؟

«محب»: حدث أن العصابة سبقتْنا إلى الأشرطة.

ثم روى «محب» للدكتور ما حدث … وكيف اتصلت العصابة أمس ليلًا وعرفت مكان الفرح.

سكَتَ الجميع لحظات ثم قال «محب»: أقترح أن نُسرع إلى منزل العروسين … على الأقل لنعرف ماذا حدث، فإذا كان في إمكاننا استعادة الأشرطة استعدناها … أو أبلغنا الشرطة. فعندنا الآن أسباب معقولة لإبلاغ الشرطة.

وافق الجميع على الاقتراح، فانتهوا من طعامهم مسرعين وانطلقوا بالسيارة إلى المنشية وكلهم شوق لمعرفة ماذا حدث.

كانت الساعة العاشرة تقريبًا عندما وصلوا إلى المنشية وتوجهوا إلى شقة الأستاذ «مدحت» العريس، الذي فتح الباب وهو لم يزَل بملابس النوم وقد بدا عليه الضيق، ولكنه دعاهم للدخول.

أسرع العريس ليلبس روبًا وجلسوا ثلاثتهم في الصالون وهم في حالة حرج شديد لأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم في هذه الساعة.

بعد لحظات دخل العريس يحمل الشربات وجلس فقال الدكتور: آسف جدًّا لإزعاجك، إنني الدكتور «مختار» زوج السيدة «رجاء» صديقة والدتك والتي كانت في الفرح أمس.

بدا على العريس نوع من الدهشة كما لاحظَ «تختخ» وقال: أهلًا وسهلًا ... لعلك حضرت لتسأل عن جهاز التسجيل؟

رد الدكتور في تردُّد: نعم، ولكن كيف عرفت ...؟!

العريس: إن هذا الجهاز قد سبَّب لي إزعاجًا شديدًا، فأمس ليلًا بعد الفرح حضر لديَّ بعض الأشخاص وقالوا إنهم أقاربكم وطالَبُوني بالجهاز.

نظر الثلاثة بعضهم إلى بعض وأدركوا أن العصابة سبقتْهم ولكن الدكتور قال: وهل أعطيتهم الجهاز؟

العريس: الحقيقة أن الجهاز ليس عندي ... لقد أخذتْه والدتي معها بعد الفرح أمس ... وقد قلت لهم ذلك.

الدكتور: ومعه الأشرطة؟

العريس: طبعًا.

الدكتور: وأين تَنزل والدتك؟

العريس: إنها ووالدي وإخوتي ينزلون في فندق وندسور ... ولكن لماذا تسألون؟ ... ألم يَصلكم الجهاز عن طريق أقاربكم الذين زاروني أمس.

وقف الثلاثة وقال الدكتور: للأسف إنهم ليسُوا أقاربنا، ولا نعرفهم على الإطلاق.

قال العريس مُندهشًا: إذن لماذا طلبوا الجهاز؟

قال الدكتور وهو ينصرف مع الأصدقاء: هذه قصة طويلة، قد أرويها لك إذا تصادف وتقابلنا مرةً أخرى.

وفتح الدكتور الباب ليخرج فقال العريس: والشربات ... اشربوا الشربات!

الدكتور: آسفين لن نستطيع شرب أي شيء ... وعلى كل حالٍ مبروك.

ونزل الثلاثة السلالم مسرعين في الطريق إلى فندق وندسور، لم يكن الفندق بعيدًا فوصلوه بعد دقائق قليلة ... واتجهوا مسرعين إلى موظَّف الاستقبال لسؤاله عن السيدة «دولت» ... ومن معها ... ولكن الموظَّف كان مشغولًا، فقد كان هناك عدد كبير من المصطافين يُحاولون الحصول على أماكن لهم في الفندق المزدحم ...

وأخيرًا استطاع الدكتور أن يصل إلى الموظف، ويسأله، فقال الرجل في ضيق: هذه ثاني مرة أُسأل عن هذه السيدة ... لقد انصرفَت ومن معها منذ قليل ... ودفعت حسابها وانتهى الأمر.

الدكتور: ومَن الذي سأل عنها؟

الموظف: لا أدري يا سيدي، فليس هذا عملي، إنهم على كل حال مجموعة من الرجال وقد انصرفوا مُسرعين.

خرج الثلاثة ووقفوا أمام الفندق وقد انتابهم الضيق. لقد فعلُوا كل ما بوسعهم، ولكن هذا الجهاز العجيب يفرُّ من أيديهم كأنه يَهرُب منهم … وفجأةً خطرت لـ «محب» فكرة … لقد أسرع إلى منادي السيارات الذي يقف أمام الفندق وسأله عن السيدة دولت ومن معها، وهل كانت معهم سيارة فقال الرجل: نعم … إنَّ عندهم سيارة ماركة نصر … حمراء … وقد شحموها في محطة البنزين القريبة لأنهم عائدون إلى القاهرة من الطريق الصحراوي كما سمعتُ منهم … وقد سألني بعض الأشخاص عنهم.

محب: وهؤلاء الذين سألوا، هل معهم سيارة؟

الرجل: نعم، سيارة من طراز مرسيدس زرقاء، وقد أسرعوا بالانصراف خلف السيارة النصر.

سباق السيارات

انطلقت سيارة الدكتور «مختار» تشقُّ طريقها إلى الطريق الصحراوي مسرعة ... كانت السيارة من طراز فولكس فاجن، وبرغم أنها سيارة صغيرة، إلا أنها سريعة كالشيطان ... فلم تكد تصل إلى أول الطريق الصحراوي حتى أطلق لها الدكتور العنان، فانطلقت تطير ... وكان «تختخ» و«محب» يراقبان السيارات التي تسير حولهم وأمامهم وهما يبحثان عن السيارة النصر الحمراء. والمرسيدس الزرقاء ... قال «تختخ»: لحسنِ الحظ الطريق الصحراوي ليس مزدحمًا. ومن السهل العثور على السيارتين فيه.

مضت فترة من الوقت والسيارة الصغيرة تُسابق الريح ... و«تختخ» و«محب» ينظران هنا وهناك ... وفجأة أشار «محب» إلى نقطة حمراء بعيدة أمامهم تصعد أحد مُرتفَعات الطريق وقال: هناك سيارة حمراء أمامنا ... إنني لا أعرف ما إذا كانت من طراز نصر أو لا، ولكن من المؤكَّد أنها حمراء ...

كانت السيارة الحمراء التي رآها «محب» قد اختفت بعد المُنحنى ... وأخذ الدكتور يضغط على البنزين والسيارة الصغيرة تَرتعِد وهي تَمضي على أقصى سرعتِها مُتجاوِزة السيارات التي كانت تسبقها ... والتي كان ركابها يُبدون دهشتهم لسرعة السيارة.

بعد لحظات ظهرت السيارة الحمراء أمامهم مرةً أخرى واقتربوا منها كثيرًا ولكن «تختخ» قال: للأسف، إنها ليست سيارة نصر ... إنها سيارة من طراز أوبل، ولكن يجب ألا تخفض السرعة.

ومضت السيارة الفولكس تشق طريقها ... والصديقان ينظران إلى الأمام بقدر ما يستطيعان لعلهما يعثران على أثر للسيارة الحمراء ... أو السيارة الزرقاء ومضَت فترة أخرى ... ثم لفَت نظر «محب» ... سيارة زرقاء تَمضي مسرعة على مبعدة أمامهم فلفت

نظر الدكتور إليها فقال الدكتور: نعم إنني أراها، ولكنَّني لا أستطيع زيادة السرعة ... وإلا كنا عرضة لحادث ...

بعد لحظات تأكدوا أن السيارة الزرقاء التي أمامهم من طراز مرسيدس، فأخذ الدكتور يضغط على البنزين مرة أخرى ... متجاوزًا السيارات التي أمامهم بمهارة فائقة حتى استطاعوا أخيرًا أن يصبحوا على بُعد نحو ٣٠٠ متر من السيارة المرسيدس، وأخذت الفولكس الصغيرة تزأر على الأسفلت الأسود ... كأنها كلب صيد قد عثر أخيرًا على فريسته ... وبدأت المسافة تضيق تدريجيًّا ٢٥٠ مترًا ... ٢٠٠ متر ... ولكن يبدو أن ركاب السيارة الزرقاء أحسوا بالمطاردة فبدءوا يزيدون من سرعتهم تدريجيًّا وأخذت المرسيدس القوية تشقُّ طريقها مُبتعدة ... ولكنها على كل حال لم تغب عن أبصارهم ...

أخيرًا اقتربوا من الرست هاوس قرب منتصف الطريق بين القاهرة والإسكندرية ... وكانت السيارة المرسيدس ... قد وقفت لحظات ثم استأنفت سيرها السريع، فقال «تختخ»: إنهم بالتأكيد يسألون عن السيارة النصر الحمراء ... ولا بدَّ أنهم عرفوا أنها كانت هنا ثم عاودت السير ... فقد ضاقت المسافة بيننا وبينهم ...

رد الدكتور وهو ينظر إلى مؤشر البنزين: للأسف إنني نسيت أن أضع بنزينًا كافيًا في السيارة، وقد أوشك على النفاذ.

لم ييئس «تختخ» وقال: نستطيع أن نتزود من البنزين في دقائق قليلة من الرست هاوس ثم نُعاود الانطلاق ...

اتجهوا فورًا إلى محطة البنزين التي أمام الرست هاوس وهناك سأل ... «محب» عن السيارة النصر الحمراء وركابها، فقال عامل البنزين إنه رأى سيارة مماثلة كان أصحابها قد نزلوا لتناول المرطبات في الرست هاوس ثم استأنفوا سيرهم منذ نحو عشر دقائق ...

امتلأت الفولكس بالبنزين ... ثم دار موتورها وانطلقت تزعق على الطريق ... وكانت السيارة الزرقاء قد غابت عن أنظارهم، ولكن بعد دقائق بدت من بعيد وأطلق الدكتور للسيارة الفولكس العنان، فمرقَت كالصاروخ تلحق بالمرسيدس ... وبعد دقائق كانوا قد أصبحوا على مقربة منها ... وفجأة ظهرت النصر الحمراء ... أيضًا ... وأصبحت السيارات الثلاث تسير واحدة وراء الأخرى ... النصر الحمراء والمرسيدس الزرقاء ... والفولكس البيضاء ... وقال «تختخ» وقد دب فيه الحماس: أخيرًا أصبحنا على مقربة من الأشرطة ... ومن حل اللغز ... ولكن ماذا ستفعل العصابة؟

أخذت المرسيدس تقترب مسرعة من النصر الحمراء ... والفولكس خلفهما ... وفجأة شاهد الأصدقاء وقلوبهم ترتجف المرسيدس وهي تُناور لتوقف النصر الحمراء الصغيرة

... كان سائق المرسيدس يقترب من جانب السيارة النصر مُحاولًا أن يجعلها تقف أو تدخل الرمال مُضطرَّة ... وأخذ الدكتور و«محب» و«تختخ» يُراقبون المناورة المخيفة وقد أصابهم الفزع ... وفي لحظة حدث كل شيء ... كانت المرسيدس قد تجاوزت النصر الحمراء وهي بجوارها تمامًا ... وحاول قائد المرسيدس أن يقف أمام النصر ليضطرَّها إلى الوقوف ... ولكن المرسيدس انحرفت بشدة ودخلت في الرمال مسرعة ... وقبل أن يتمكَّن قائدها من السيطرة عليها انقلبت على ظهرها!

توقفت السيارات المارة، وتوقفَت النصر الحمراء ... وتوقفت الفولكس، ونسي الجميع في لحظة الرعب ماذا يجرُون من أجله ... ولم يعد أمامهم إلا الحادث والمصابون ...

أسرع عدد من ركاب السيارات الواقفة إلى السيارة المرسيدس وخطف الدكتور «مختار» الحقيبة الطبية ... ونسيَ في هذه اللحظة العصابة والأشرطة والمطاردة ... وتذكر فقط أنه طبيب وأمامه واجب إسعاف المصابين.

استطاع الرجال إخراج ركاب العربة المرسيدس وقد أصيبوا إصابات بالغة ... وكانت النار قد اشتعلت في السيارة المقلوبة، فابتعدوا عنها، وأخذ بعضُهم يحاول إطفاءها بالرمال.

قال أحد الرجال: علينا أن نتصل من تليفون الطوارئ بقوات شرطة الحدود ... لإحضار الإسعاف.

وفعلًا تحرَّكت سيارة للتنفيذ في أسرع وقت، وأسرع «تختخ» معهم؛ فقد قرَّر في هذه اللحظة التحدث إلى المفتش «سامي» ليضع أمامه القصة كاملة ويضع بين يديه العصابة.

ووصلوا إلى التليفون، وتم الاتصال بشرطة الحدود عن الطريق الصحراوي وطلب منهم «تختخ» إخطار المفتش «سامي» ليَحضُر للأهمية، ثم عادت السيارة مرة أخرى إلى مكان الحادث.

كانت إصابات ركاب المرسيدس خطيرة ولكنها لم تكن مُميتة، وكان الدكتور قد مدَّدهم على جانب الطريق وأخذ يُجري لهم الإسعافات اللازمة، أسرع «تختخ» إلى «محب» قائلًا: هيا بنا إلى السيارة النصر ... لنسأل عن الأشرطة ... إنها فرصة قبل أن تتحرك ...

محب: على كل حال لن تتحرك السيارة قبل وصول رجال الشرطة للتحقيق في الحادث.

أسرع الصديقان إلى السيارة النصر ... التي كان سائقها رجلًا عجوزًا وقورًا، كان واضحًا أنه والد «مدحت» العريس ... فقدم له «محب» نفسه وطلب منه التعرف على أسرته لرسالة عاجلة من زوجة الدكتور «مختار».

وكانت السيدة «دولت» أم «مدحت» تجلس مع أولادها وقد أصابهم انزعاج شديد من الحادث ... فعرَّفها «محب» بنفسه، وقال لها: لقد أعطتك زوجة عمي جهاز تسجيل أمس

لتسجلوا عليه فقرات الفرح ... نحن يُهمنا جدًّا الحصول على هذا الجهاز والأشرطة التي معه لأسباب سأشرحها لك فيما بعد.

وجاءت مُفاجأة المفاجآت عندما قالت السيدة دولت ببساطة: لقد أرسلت الجهاز إلى زوجة الدكتور «مختار» هذا الصباح، فليس من المعقول أن آخذه معي إلى المعادي وهي تُريد الاستمتاع به في المصيف ... ألم تُخبرْك بذلك؟

وقف «محب» و«تختخ» في حالة ذهول تام ... فقالت السيدة: ماذا حدث ... ألا تسمعني؟!

استعاد «محب» نفسه وقال: آسف جدًّا ... ولكن الحقيقة أننا خرجنا قبل أن يصل الجهاز إلى منزل الدكتور ... وذهبنا إلى العريس «مدحت» في شقتِه وأخبَرَنا أن الجهاز معك ... فتصورنا أنك ستأخذينه معكِ إلى المعادي.

قالت السيدة: لقد أخذت الشريط الذي سجلنا عليه الفرح فقط وبقية الأشرطة أرسلتها مع الجهاز إلى السيدة «رجاء» وأرسلت لها علب الملبس لأنَّها نسيت أن تأخذها أمس ... ولكن هل كنتم تُطاردوننا من أجل الجهاز؟

قال «محب»: إنها قصة طويلة يا سيدتي ... والسيارة المرسيدس كانت تُطاردكم أيضًا.

السيدة: لماذا؟ ... ماذا كان في جهاز التسجيل أو هذه الأشرطة؟

محب: لا نعرف ... حتى الآن ... ولكن قد نَعرف فيما بعد.

عاد «تختخ» و«محب» إلى حيث كان الدكتور ما زال مُنهمكًا في إسعاف المصابين فوقفا بجانبِه فلما رآهما قال: إنَّ الرجل المفتول العضلات بين المصابين ... وكذلك «حسني» المرض. لقد كانت استنتاجاتنا كلها صحيحة ... ولكن المُهم هل وجدتما الأشرطة؟

ولم يملك «تختخ» نفسه من الابتسام قائلًا: لقد كان في إمكاننا أن نُوفِّر كل هذه المطاردة لو أننا اتصلنا بمنزلك في المعمورة تليفونيًّا، فالجهاز والأشرطة الباقية في أمان هناك ... والعصابة كلها ممدَّدة على الأرض هنا ... ولكن بقيت الإجابة عن هذا السؤال ... ماذا على الأشرطة؟!

مضت نصف ساعة تقريبًا ... وكانت سيارة الشرطة قد وصلت وسيارة الإسعاف وبدأ التحقيق في الحادث ... ثم وصل المفتش «سامي» فأسرع إليه «تختخ» فلم يَكد المُفتِّش يراه حتى صاح: ماذا حدث؟ لماذا استدعيتَني؟

وقف «تختخ» أمام المفتش يَبتسِم ثم قال: سأروي لك قصة مُضحكة ... ولولا أنني أعرف أنك تُصدقني لما رويتها لك ...

وجلس المفتِّش و«تختخ» و«محب» … في سيارة المفتِّش وروى «تختخ» للمفتش القصة كلها … ولم يَكد «تختخ» ينتهي من حكايته حتى قفز المفتش واقفًا وقال: تعالَيا معي فإذا لم أكن مخطئًا فقد وقعتم على عصابة «سنج» الخطيرة التي دوخت رجالنا وقتًا طويلًا!

وأسرع المفتش إلى حيث كان المصابون ينقلونهم إلى سيارة الإسعاف فلما رآهم قال: تمامًا … إنها عصابة «سنج»! ثم استدعى بعض رجاله لحِراسة المصابين، والتفت إلى «تختخ» قائلًا: هل تريد أن تعرف ماذا كان على هذه الأشرطة؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: وهل تعتقد أنني بعد كل هذا لا أريد أن أعرف … ولكن أرجو أن تنتظر حتى ينضمَّ إلينا الدكتور «مختار» الذي شاركَنا المغامرة. ومن حقِّه أن يعرف السر أيضًا …

وقف «محب» و«تختخ» والدكتور «مختار» حول المفتش الذي قال: لقد استطاعت هذه العصابة أن ترتكب سلسلة من السرقات الخطيرة دون أن نتمكَّن من القبض على أفرادها، فلم يكن عندنا أيَّة أدلة. ثم استطاع أحد رجالنا أن يضع جهازًا للتسجيل في مقر العصابة بواسطة خادم … وظل يُسجِّل ليلة كاملة وهم يتحدَّثون عن مغامراتهم وسرقاتهم، ولكن الخادم خانَنا وخان العصابة، فانتهز فرصة نومهم وأخذ جهاز التسجيل والأشرطة وبعض المسروقات الثمينة التي وجدها في مقر العصابة وباعها وهرب. واستطاعت العصابة أن تصلَ إلى الخادم فاعترف لها بما فعل … فتتبعوا الجهاز حتى عرفوا أن الدكتور «مختار» قد اشتراه هو وأشرطة التسجيل فحاوَلُوا استعادتهما بأي ثمن … هذه هي قصة الأشرطة وهذا هو لغز المطاردة المثيرة التي تمَّت بينكم وبين العصابة.

نظر الدكتور «مختار» إلى «محب» و«تختخ» قائلًا: لن أشتريَ شيئًا مرة أخرى حتى أعرف مصدرَه … فلستُ على استعداد لدخول مغامرات أخرى … وسأعود الآن إلى الإسكندرية لأرتاح.

قال المفتش: سأُرسل معك أحد رجالي ليعود بالأشرطة والجهاز؛ فلا بد أن الأشرطة الباقية عليها جزء هام من الاعترافات. ثم التفتَ إلى «تختخ» و«محب» قائلًا: أما أنتما أيها المغامران البارعان فهيا معي إلى القاهرة. فتنهَّد «تختخ» و«محب» في نفَسٍ واحد قائلين: نعم … هيا بنا!


هنداوي